المسلمة اليوم:

تحديات وعقبات
وسبل الارتقاء

ليلى حمدان

وەرگێڕە موسڵمانەکان

المسلمة اليوم: تحديات وعقبات وسبل الارتقاء

بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدّين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عزّ إلا في التذلّل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، ولا حياة إلا في رِضاه، ولا نعيم إلا في قُربه، ولا صلاح للقلب ولا فلاح إلا بالإخلاص له وتوحيد المحبة له. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

وصلّ اللهم على نبينا مُحَمَّد، عبد الله ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماما للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين. وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد،

أخواتي في الله، أحييكن بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

يأتي هذا اللقاء استجابة لدعوة من كردستان الأبية، وعربون محبة ومودّة لأخواتنا الكرديات العزيزات، وحين أستحضر كردستان والأكراد، يأخذني التاريخ، إلى حقبة الدولة الأيوبية، والتي ارتبط اسمها بحدث مفصلي في محور الزمن، إنه حدث تحرير بيت المقدس على يد القائد صلاح الدين الأيوبي، القائد الكردي الشهير، الذي حمل أمانةً، جهاد القادة والجند صُنّاع هذا الفتح، وأوفى لجهودهم المتراكمة المتكاملة، بوضع منبر السلطان نور الدين زنكي في المسجد الأقصى يوم الفتح الكبير، استجابة لوصية السلطان نور الدين، الإمام المجاهد، الذي حمل همّ تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين، هدفا لا يحيد عنه، فآمن به بقوة، وسعى له بجد وهمة، ووجد بجانبه في سبيل ذلك، الرجال الذين يؤيدونه ويعينونه، ويحملون الهدف نفسه مثله!

ولشدة يقينه، بأن النصر قادم لا محالة، أمر نور الدين بصناعة منبر خشبي بديع في مدينة حلب، منقوش بزخارف متميزة. على أن يوضع المنبر في المسجد الأقصى بعد تحريره من أيدي الصليبيين، وذلك على بعد مسافة سنين زمنية طويلة من موعد استعادة الأقصى، وفي ذلك إشارة على قوة عزيمته وإصرار رسالته الجهادية. ولم يُقدَّر له أن يحقّق ذلك في حياته.

لكن صلاح الدين الأيوبي، بعد انتصاره في معركة حطين (سنة ٥٨٣هـ – ١١٨٧م) ودخوله القدس محررة معزّزة مكرّمة، تذكّر وصية أستاذه نور الدين. فأمر بنقل المنبر من

حلب إلى المسجد الأقصى، ونُصب هناك، ليكون رمزًا لانتصار المسلمين ووحدة الأمة.

وكان في هذا الفصل من فصول التاريخ، قصة مجدٍ بُني بإيمان وصبر ويقين ممتد. وتوارثِ عهدٍ ووعدٍ بأمانةٍ ووفاءٍ لا يعرفان الخذلان ولا النسيان!

وهكذا ظلّ منبر نور الدين قائمًا في المسجد الأقصى، يُذكّر بعلو همم رجالات هذا التاريخ، حتى عام ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م، حين أُحرق على يد متطرف صهيوني، يدعى "دنيس مايكل روهان"، ليعيدنا لحقيقة أن فصول الصراع بين الإسلام وأمم الكفر، لم تقف وأن حقد أعداء الدين يمتد ولا يتلاشى، وليذكرنا أيضا، أن رجالات التاريخ لا يتكررون بسهولة!

وقد أعيد ترميم نسخة طبق الأصل من المنبر عام ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، وعاد إلى مكانه في المسجد الأقصى. وأحسب أن في ذلك حفظا لهدف صادق، استودعه القائد المجاهد ربه، فحفظه له –سبحانه– كل هذه العقود من الزمن! وفضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده سبحانه.

لطالما اقترن تناول فصل تحرير بيت المقدس التاريخي، بذكر دور الرجال فيه، لحضورهم المباشر في ساحات الإعداد والجهاد والقتال والمراغمة، وتحملهم أعباء المواجهة القاسية

في صراع دموي شرس، لكن هذا لا يعني أن النساء كن في معزل عن صناعة هذا النصر، بل كن في وظائفهن وثغورهن يحرسنها بتفانٍ واجتهاد، كن حقيقة جنديات الخفاء، يُؤمّن ظهور الرجال ويؤيدنهم بمدد النصر والتمكين وتربية الأجيال.

ففي قصر السلطان الأيوبي، برزت الأميرتان ست الشام بنت أيوب، وربيعة بنت أيوب أختا صلاح الدين، وكان لهما الدور المساعد في دعم الدولة الأيوبية بالصدقات والأوقاف والإسناد لمشاريع الدولة.

والأميرة بابا خاتون بنت أسد الدين شيركوه، وهي أم الفاتح صلاح الدين، وكان لها الدور في صناعة قائد فارس مجاهد.

ثم الأميرة عذراء بنت نور الدولة الأيوبي، ابنة نور الدين زنكي، والتي كان لها الدور في دعم الدولة الأيوبية. من بين أميرات القصر الأيوبي اللاتي كان لهن أثرهن في الإنفاق والدعم للمؤسسات العلمية والخيرية والاجتماعية في خدمة المسلمين. وعُرفن بأعمال البر والإحسان والنفقات والإسناد في ميادين التربية والتعليم.

وعلى غرار الأميرات في قصر السلطان كانت هناك محدثات وعالمات، لعبن دورا مهما في نشر العلم وصناعة الوعي والحفاظ على التمسك بالقيم الإيمانية العالية، والاعتزاز بالهوية الإسلامية المتفردة، وفي مقدمتهن المحدثة فخر النساء شهدة الدينورية، التي

كانت من المحدثات البارزات في عصرها، وروت عن العديد من العلماء. ذكرها تقديرا لمكانتها العلمية آنذاك، كل من ابن عساكر وابن الجوزي والذهبي.

والمحدثات أسماء وفاطمة وجويرية بنات أحمد الهكارية، اللاتي عرفن بعلمهن الواسع، وروين عن العديد من الأئمة.

والمحدثتان جويرية وزينب بنتا عبد الرحيم العراقي. عرفتا بعلمهما الواسع، وروايتهما عن العديد من الأئمة كذلك.

والمحدثات زينب بنت سليمان الأسعردي وفاطمة بنت أحمد الأيوبية وقطلومك بنت مُحَمَّد الأيوبية ممن برزن في ميدان العلم والتعليم.

وهكذا نرى أن النساء المسلمات كن عاملا من أسباب القوة في ثغورهن الأسرية والمجتمعية والتعليمية والتربوية والخيرية، ينشدن العزة.

ولكن حضورهن وأثرهن هذا كان يدعمه واقع المسلمين في زمانهن، حيث كان يتوفر لهن السلطان الإسلامي، الذي يعتز بهويته، ويؤمن بالاستقلالية والريادة، ويحصن القلاع ضد الغزو الخارجي ويتصدى لمكائد أعدائه، ويخضعهم بصبر، وبقوة السلاح والجهاد، ويقدّر الجهود البناءة ويحفظها. وهو حال نساء المسلمين الفاضلات في كل

عصر عشن فيه تحت سلطان إسلامي واضح المعالم والغايات، منذ عصر النبوة العظيم، تلك الحقبة القدوة، إلى كل سلطان إسلامي بعده، لا يعرف الاختلاف والمنازعة في أصل وجوب أن تحكم الشريعة الأمة المسلمة، ولا يرتضي فيه المسلمون حكما غير حكم الله تعالى وشريعته الغراء، فكان لصيانة هذا الأصل والحفاظ عليه، بركاته وفضائله في حياة المسلمين في زمانهم، أما اليوم، فالحال ما نرى ونسمع، ويفتك بالقلب ويفجع! فلا سلطان إسلامي، ولا استقلالية ولا ريادة، ولا اعتزاز بالهوية الإسلامية ولا تفرد ولا حتى ما يوفر للمسلمة مساحتها للوفاء لدورها بكفاءة! فشتان بين واقع المسلمات أيام السلطان الإسلامي وعزة الجهاد، وواقع المسلمات أيام الاستضعاف والتبعية والاحتلال والهيمنة واستشراء الوهن!

فكيف تعيش المسلمة اليوم في زمن الاستضعاف وتداعي الأمم علينا؟

تعيش المسلمة اليوم في واقع استثنائي، لا يفي لوظيفتها في الحياة كأمة لله تعالى مسلمة، ولا يلبي احتياجاتها كحاملة لرسالة الإسلام العظيم، كما يجب، فهي بين عجز في نفسها التي تضطرب، وضغوط هموم واقعها الذي يعاند ويكسر ويعاتب!

فتجد نفسها في معركة متعددة الجبهات، جبهة داخلية مع نفسها، وجبهة خارجية مع واقعها، وجبهة مع هواجس لم يكن لها حسبان! وكل معركة تتطلب التزود واستراتيجية الثبات الأرجى، وكثيرا ما تُفتقد لكثرة التشويش والتفلت وعوامل الهدم والتثبيط وفي

مقدمتها الحرب على الإسلام وتراجع الرجل عن دوره الريادي ومهمات القيادة! فحملت المرأة في ظل هذا الوضع المضطرب، حملا مضاعفا، واضطرت لتحمل مسؤوليات لم تضطر لحملها حرائر المسلمين في زمن مضى، حين قام الرجال على ثغورهم بكفاءة.

ومع ذلك، لم يترك الله تعالى أمته بدون مخرج، ولا طوق نجاة أو نور يضيء دربها وينأى بها عن مستنقعات الظلمات والضلالة، فمن فضل الله تعالى على المؤمنة أن تجد تشخيص واقعها وعلاجه، مفصلا ومبيّنا في كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ وسير السلف الصالح، من فضل الله تعالى أن خصّها بالزاد والحصانة، ومعالم الاستدراك والانبعاث والهداية، التي تحفظها من الانحراف وتعينها على النهوض برسالتها، بقوة وعزيمة وامتنان.

أعلم أن الكثير من الفتيات والنساء المسلمات يحملن أحلاما جميلة عزيزة، يخشين عليها جدا، وأن الكثير من الأحلام تكسرت أو تعثرت فحفرت في النفس أخاديد حزن وأسى، وأخرى لا تزال تنتظر يحيطها التوجس والخوف، في وسط معاند جدا، وفقد يُعيق بشدة، يجعل الحياة في كَبَد ملحمة، خاصة مع قلب الأنثى المؤمنة الرقيق، وحسّها المرهف، ونفسها العزيزة، فهي تهتز لذكرى شجن، لموقف أسى، ولحزن فتك! لكن أخية، أنت اليوم في قلب صراع شرس تعيشه الأمة بلا هوادة، يتدافع بأقسى ما يكون ويُكاد فيه لك ولكل ما يتصل بعوامل الانبعاث والقوة في الأمة بأخبث ما

يكون، لذلك ليس الأمر اختياريا، كحال من تعيش في ترف ودعة وأمان بعيدا عن استهداف الأعداء، بل أنت اليوم مقاتلة في خدرك، في ثغرك في أسرتك ومملكتك، قتال فرض، يستوعب أنوثتك، وطبيعة وظيفتك وأهدافك، ويتصدى لحملات الأعداء ويُعدّ لرد كيدهم في نحورهم. لذلك فإن هذه الرقة والأنوثة والطباع المرهفة بحاجة لعناية خاصة وحماية وصيانة، فالخارج موحش جدا، وحملات الأعداء لا تفتر والعقبات والتحديات تهدد أو تنقض الغزل!

ما الذي يتوعد المرأة المسلمة اليوم؟

إن أكثر خطر يتوعد المرأة المسلمة اليوم، فقدان الهوية، وخسارة الذات! حين تصبح مجرد إمعة تتبع هذا التيار الدخيل أو ذاك، ومجرد مقلدة منهزمة لثقافة الأعداء، امرأة بلا تاريخ ولا حاضر ولا مستقبل، لا تدري أين هي؟ ومن هي؟ ولا أين تذهب! فقدت البوصلة وفقدت قوة الحق والحضور والهدف! ولذلك كان الاعتزاز بالهوية المسلمة والاستعلاء بالإيمان، أعظم أسباب الثبات اليوم وأرجاها، فمن لا هوية له، أوجب لنفسه الذلة والمهانة والتبعية وانتهى إلى صفحات الفشل والهزيمة!

قال ابن القيِّم رحمه الله :

"العِزَّة والعُلُوُّ إنَّما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو عِلمٌ وعملٌ وحالٌ، قال تعالى: (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٣٩].

فللعبد من العُلُوِّ بحسب ما معه من الإيمان،

وقال تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [المنافقون: ٨].

فله من العِزَّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظٌّ من العُلُوِّ والعِزَّة، ففي مُقَابَلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا." [إغاثة اللهفان] .

ولذلك رافق الذلة التي تعيشها الأمة التفريط في الإيمان وحقائقه! وتلاشي الهوية، تلاشي الحضور والغاية.

فبعد فقدان الهوية يحدث الفراغ، فيتم توظيف المرأة في غير مكانها الأولى والأرجى، لتتحول إلى معول هدم في أمتها، وعدو لانتمائها، وتتغير جداول أولوياتها، فيصبح أول هدف لها، إشباع تفاصيل الدنيا وملذاتها، واللهث خلف الشهرة والزخرف الفاني على حساب قيمة نفسها وزكاء قلبها!

وهكذا تتحول النساء لهياكل شكلية خاوية من الفهم والبصيرة، بلا غاية نبيلة بلا جدوى، يعشن ويكرسن حياتهن لمتعة ولذة اللحظة الراهنة، بغض النظر عن قصور

الغايات وتداعياتها المفجعة، ومع أن الموت على مقربة منهن! إلا أن على أعينهن غشاوة فلا يلقين له بالا، قد قيدت عقولهن المفاهيم المشوهة والغفلة والوعي الأبتر!

يتهدد المرأة اليوم، فتن الحداثة التي تستعبد النساء برضاهن، وتحولهن لمجرد آلات لجني المال والوفاء بإخلاص لأرباب الأعمال، بينما يستنزف عمر المرأة وحياتها وأجمل ما فيها – عقيدتها وأنوثتها– في إرضاء متطلبات مجحفة على حساب هدم جوهر الإنسانة فيها! جوهر الزوجة والأم والابنة!

يتهدد المرأة اليوم، فقدان الرجولة في حياتها، بأُسر جافية مهدمة، متناقضة الأدوار ومتنازعة الوظائف، فتفتقد الابنة للأب، والأخت للأخ، والزوجة للزوج! ويعيش الجميع في حالة من العوز والقسوة، ولذلك تداعيات! فقد جعل الله تعالى معاني الرجولة تحف الإناث لحمايتهن وصيانتهن وتعزيز الأمن والأمان في حياتهن فيشرقن نورا، ويزدهرن. واليوم حصوننا مكشوفة وبنات المسلمين يدفعن ثمن تضييع معاني الرجولة والحرب عليها..! سواء أشعرن بذلك أو لم يشعرن به..! فما لم يتحقق التكامل بين الذكر والأنثى في الأدوار والخصائص، أول ضحايا هذا التضييع، هي المرأة! واليوم تدعى المرأة لمنافسة الرجل منافسة غير شريفة، ومنازعته الولاية والأمر بإهمال طبيعتها وخصائصها الأنثوية، ووظائفها الحيوية، فأضحت لدينا الثغور مكشوفة ومعطلة والحروب داخلية مستنزِفة! وهو تماما ما يريده لنا أعداؤنا.

يتهدد المرأة اليوم هواجس المستقبل، مع حروب تندلع ودمار يحل في ظرف لحظة! يتبدل كل حال، ولا بواكي لنساء المسلمين، حتى أكثر الأبواق المطالبة بحقوق النساء، تُهمل وتُهمش المسلمات، فمن لنساء فلسطين واليمن، من لنساء الأويغور والروهينجا؟ من لنساء إفريقيا؟ ما دمن مسلمات، فلا داعي للقلق، ولن نخصهن بالاستنفار، بل نساء اليهود أولى وأهم! لذلك تعيش المرأة المسلمة تتوجس، وهي تحسب حساب لحظة الغدر وبارقة الخوف وتبدل الحال، فتسعى تكابد وتعاني بقلب يرتجف، إذ لم يعد في محيطها ما يدعو للثقة والأمان والارتياح!

يتهدد المرأة اليوم الجهل والتعالم، في وقت ابتُذلت فيه القيمة الحقيقية للعلم، وارتفعت منحنيات الاغترار والعجب، وتلاشت غاية الصدق! ومن فقد القيمة، فقد الهدف ولذلة الإنجاز. فماذا سينجي غير الشوك! وهل التعلم اليوم حقا يصنع صروحا علمية، عاملة نافعة؟ أو مجرد آلات كادحة لخدمة الرأسمالية؟! تضر نفسها وتفسد عليها الغايات الأرجى.

يتهدد المرأة اليوم فقدان القدوة وتفشي الأمثلة الفاسدة، مما يفسد الذوق والذائقة! وتُظلِم معه البصيرة. فالوسط مؤثر بإفساد، وكثرة المساس تُفقد الإحساس! وكم من ضحية وقعت في لحظة غفلة ونسيان، وقلة المعين ودفع الفتن!

ومع كل ما ذكرت من ملامح التشخيص لواقعنا المعاند، فإن أرادت المرأة الوقوف، والتقدم بدرع من العزيمة الصلبة، تفاجأت بكمّ من العقبات والتحديات لم تكن في الحسبان، وهذ مرحلة أخرى من عوامل العرقلة تتسبب في التثبيط والانتكاس، بل توجب اليقظة والاحتراز بشدة!

لنلقي نظرة على العقبات والتحديات التي تواجهها المسلمة التواقة اليوم؟ تلك المسلمة التي عرفت طريق النور من أين تسلكه، وأدركت أن قيمتها هي تماما في قوة إسلامها لا في شيء آخر.

لعل أكثر ما يواجه المسلمة اليوم من تحديات في واقعنا الكئيب، هو فقدان الشغف والفتور عن الطاعة، تبدأ قوية مشرقة، ثم تذبل وتُظلم وهي مدركة أن هذا مؤسف ومؤلم! فإن بحثنا عن مبرراتها، نجد أغلبها يتلخص في الواقع البائس الذي تعيشه الأمة، فأغلب ما يدور حولنا، قهر واستضعاف، وقتل وفتك وطغيان، وتضييع للأمانة وتهميش للإسلام، وفجائع تتوالى، والنفس تُحبط، ويتسلل لها اليأس والكسل! فتقول ما عساني أن أفعل، وهل يمكن لي وحدي أن أغير كل هذا العالم وأنصر الضعيف وأغير واقع الأمة التي تنزف؟ إن كان الرجال قد قعدوا وتعايشوا مع الذلّة، فكيف لي أنا الزهرة الرقيقة أن أواجه أعاصير الطغيان لوحدي! وهنا يتسلل العجز وتكتئب النفس وتنغمس في زاوية من الحزن مظلمة، وتضعف معها همتها، وتستثقل خطواتها، فكل شيء يدعو للإحباط والاستسلام! هكذا يتراءى لها!

وفي واقعنا اليوم، كم من إماء الله، ينطلقن بعزيمة قوية، فيسطرن جداولهن بحماسة وإقبال على مرامي الإنجاز والعمل، بإقبال مبشر وواعد، ثم ما يلبثن أن ينطفئن ويتراجعن وينتكسن! فنور الشغف يخفت تدريجيا لشدة غلبة الظلمات حولهن، والهمة تتهاوى فلا أيدي تسندها ولا طبطبة على الكتف تشد العضد، والأفكار تنهزم فلا روح تحييها ولا كلمة حق تنتشلها من الهبوط، وهذا مشهد هزيمة وعجز يُفجع! ولا تزال شريحة كبيرة من النساء يعانين هذا الفقد للشغف وضعف الهمة مع كونهن يدركن ويعرفن ما هو الصح من الغلط وما هو الفضل وما هو الانتكاس، وهذا يستوجب منا وقفة مع أسبابه.

ولعل أول أسبابه، هو الجهل بطبيعة النفس البشرية وسوء التعامل مع مقدراتها ونقاط ضعفها، مما يصنع الإحباط والشعور بالعجز، وهي مشاعر يعمقها أيضا، اعتقاد المرأة أنها متأخرة عن اللحاق بركب المسابقات الصالحات، فتستلم للهزيمة مبكرا!

ومن أسبابه، المقارنات المَرَضية، فتنشغل بمقارنة نفسها بالآخرين، مما يزرع الغيرة ويهدم الرضا ويدفعها للخلف، أو الغش!

ثم الانشغال بالمظاهر معتقدة أن كل ما يلمع هو السبق، وكل ما يحظى بالتصفيق هو الفضل، ويعلمها ذلك التركيز على الشكل الخارجي أو حجم الظهور الاجتماعي على حساب الجوهر وغاية القبول عند الرحمن فتحرم نفسها البركات والمعية!

ومن أسبابه التي يجب أن تذكر، الخيبات العاطفية، والانكسار، الذي يحدثه الغدر والفجائع في العلاقات، فالنساء اللاتي تعرضن لخيبات عاطفية أكثرهن عزوفا عن العمل والتعلم، ويخترن الانطواء والانعزال والغرق في بحر الأحزان وجلد الذات! فهذه أبرز أسباب فقدان الشغف والانطفاء لدى النساء.

ولنرجع الآن، للتحديات التي تكبل همة المسلمة، لا شك أن منها، واقع منفصل عن العلم والعمل، واقع بعيد تماما عما تعيشه في صفحات الكتب والسير، بل مصادم لأماني الفتاة المسلمة وطموحاتها النبيلة، فتجد نفسها مجرد طالبة تحفظ الدروس والمتون والخلاصات الصماء! وتبذل لنيل الدرجات ومراتب التفوق، ولكنها مجرد إنجازات بأرقام خاوية! وإلا فكيف حالها في حياتها، ما درجة التزامها بما تكتبه وتحفظه وترددده للامتحانات؟ كيف هي في امتحانات الصدق؟ في ثغور العمل لله تعالى، في ميادين البذل في سجلات الخبيئة؟؟ كيف حال قلبها؟ كيف حال حضورها في ملاحم الارتقاء؟!

قال ابن مسعود ﷺ: "ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية".

وهذا النوع من النساء، يعاني بشدة الانفصام بين القيمة في النفس وتصديق هذه القيمة في الواقع، يعاني المسافة الشاسعة بين التنظير والتطبيق، فهن بحاجة لقفزة تربط

بين ما يعشنه في الفكرة، ليتحقق مؤثرا في معايشتهن للواقع، وهذا يتطلب، خشوعا وتدبرا، وعزيمة سماوية!

وتكمن خطورة هذه العقبة في كونها تصنع الهمم المغشوشة، غير الفعالة، وتجاوزها ضرورة لا تقبل التسويف، بصناعة الجدية والحرص على الإخلاص والخشوع.

لقد رأينا فتاة تشتعل همة ثم تنطفئ، وأخرى مثالية في الدروس، متعثرة في الواقع، وكلاهما تحديان خطيران لكنهما قابلان للعلاج والاستدراك، طالما لم يحضر في المشهد التحدي الأخطر، تحدي بذور الانحراف المستترة في الصدور، فهذه البذور إن لم نُضعف سُميّتها بالحصانة المبكّرة، ما تلبث أن تتعلق بحبال الشبهات والشهوات التي تغذيها وترعاها حتى تنطلق كسيل يُفسد في النفس والأرض، وتنحرف الفتاة عن جادة الطريق دون أن تشعر، وتحسب نفسها تحسن صنعا، إلا أن قواعدها مهزوزة وطريقها مضلل، وغايتها مهدومة! وتتعاظم الغفلة في نفسها ويتضخم الغرور وتتحول لنسخة أخرى من فتاة لا تخشى ربها ولا تراعي حدود شريعة الله ﷻ.

ثم في عالم يعج بالفتن، يصبح الوضع أسوأ، إذ يعصف بقلب الفتاة سموم الانفتاح الإعلامي، والغزو الفكري، والانهزامية لسلطة الثقافة الغالبة المحاربة، وتتجاذبها إغراءات الشهرة، ومظاهر التبرج وكل ما يهدد حياءها وعفافها وثباتها. وما لم تصن قلبها وجوارحها كما أمر الله وحكم! جرفتها الفتن، ويا لتعاسة الظالمة!

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

لقد عرضنا بشكل من الاختصار واقع المرأة المسلمة، وأبرز العقبات والتحديات في طريقها، لكن هذا لا يعني كل شيء! بل إن أهم ما يعقب التشخيص السليم هو المعالجة الشاملة الذكية، فالأهم هو وضع استراتيجية التحصين والثبات والإعداد والمسابقة الأرجى.

وللوصول إليها يجب أن نتحدث عن سبل الارتقاء والثبات للمرأة المسلمة في زماننا,

إن أولى أوليات المرأة المسلمة اليوم، بعد ترسيخ الاعتزاز بدينها والاستعلاء بإيمانها، والحفاظ على هويتها الإسلامية مهيبة مبهجة، هو الحرص على التجديد المستمر للشغف، بعلو همة وهدف، وهذا يعني أن تعتني جدا بمرجعياتها، وزاد قلبها، وقوة نفسها، التي هي في الحقيقة قوة الحق في هذه النفس. يجب على المسلمة اليوم أن تعتني جدا وبلا تسويف أو تماطل، بعلاقتها بربها ﷻ، أن تصلح علاقتها بصلاتها، فتصليها في وقتها وتجاهد لتكون بخشوع وحضور قلب، واستغفار في آخر الأمر، وتصلح علاقتها بالقرآن العظيم، فإن المسافة التي تطول بينك وبين القرآن، تعني المزيد من الحرمان وخسارة التوفيق والمعية الربانية التي لا يمكن لقوة في الأرض أن تعوضها أو مكسب دنيوي أن يضاهيها!

يجب على المسلمة اليوم أن تحفظ نفسها من هجمات الإنس والجن الكائدين، الذي يتربصون بالمؤمنة فتحافظ على أذكارها بشدة، وتراعي أوقاتها باهتمام كما تهتم بشرب الماء لحياتها، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "أذكار الصباح والمساء بمثابة الدرع كلما زادت سماكته لم يتأثر صاحبه، بل تصل قوة الدرع أن يعود السهم فيصيب من أطلقه". الوابل الصّيب [ص ٧١].

وهذا أمر مجرب ومعلوم، كلما كنتِ يا أمة الله أكثر حرصا على الوفاء لصلاتك وأذكارك وموعد وردك اليومي للقرآن، اشتدت قوة قلبك وحصانة نفسك وأضحيت عصية على شياطين الجن والإنس مهما كادوا لك!

وأي اضطراب في هذا الميزان وأي تقصير في الوفاء لهذه الحقوق، يوجب الاضطراب في قلبك وحياتك، بقدر حجم الاضطراب والتقصير الذي تقعين فيه! ولا تطمعي في أي ارتقاء وتوفيق قبل إصلاح هذه العلاقة والوفاء لهذه الحقوق.

ويجب أن يرافق هذا الهدي، العمل بقول الله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]

عليك أخية بحسن اختيار صحبتك الصالحة، صحبة تعينك على ضبط جدولك اليومي معطاءً، يصون قوة الحق في قلبك، وقوة الإقبال، صحبة لا تشتت تركيزك على ما يبقي روحك حية بالإيمان، فهي تذكرك بالله، وصالح الأعمال، صحبة لا تسمح لقلبك أن يقسو، فهي تنير مجلسك بالقرآن والفوائد النافعة، وذكرى السير الملهمة، صحبة يستنير بها قلبك وتتوقد معها همتك، تربطك بمنازلنا في الجنة ورفقة خير الخلق، حبا ومودة! صحبة إن تسلل لك الفتور، دفعتك للاستدراك بلا يأس، وإن شعرت منك العجب والغرور والانحراف، نصحتك ولم تغشك، فألهمتك الأدب والاستقامة بلا لجلجة ولا استكبار!

ولضمان نتائج كل ذلك، على المرأة المسلمة أن تحرص بشدة على أن لا ينزل التزامها عن الحد الأدنى من العبادات، فهذا الحد الأدنى هو حبل نجاتها، وحين أقول العبادات فأنا لا أختزلها في الصلاة والذكر والقرآن والصدقات والحجاب الشرعي، بل يدخل فيها وبأولوية قصوى، العبادات القلبية، وتطهير القلب مما يفسد عليه صفاءه، بالنأي بالنفس عما يحرق حسناتك وأعمالك الصالحة، كالرياء والغيبة والنميمة والظلم، وما حطّ من اهتمامات. وبسلامة الصدر على المسلمين وبالمسابقة إلى الأعمال الصالحة، كلما آويت لفراشك أو فتحت عينيك الصباح سألت نفسك: ما هو العمل الصالح الذي يجب أن أنجزه اليوم بإخلاص؟ كيف أجعل أعمالي اليوم كلها أعمال صالحة خالصة لله عز وجل. وحب الخير للمسلمين ونفعهم عمل صالح!

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:" بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا" هذا حديث حسن صحيح، وفيه مفتاح الثبات اليوم: المبادرة والمسابقة لأداء الأعمال الصالحة، ففي الوصية النبوية سر عظيم من أسرار الثبات والفتح..!

وقال النبي ﷺ: «إن الإيمان ليَخلَق في جوف أحدكم كما يَخلَق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم» رواه الحاكم.

وقال ﷺ: «إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء» رواه مسلم.

وهذا يعني أن نعتني بشدة بالإخلاص وحالة قلوبنا أثناء أداء العبادة والعمل الصالح أكثر من الاهتمام بأعداد أعمالنا أو الفرح بها! وهذا ما يضمن تجديد همتك ودفع الشغف في قلبك وجوارحك، ويساعدك جدا على معايشة معاني الحياة الطيبة التي وعد الله تعالى عباده المؤمنين. قال الله عز وجل ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] بأحسن ما كانوا يعملون!!

ولتحقيق هذه الحياة الطيبة، علينا يا أخية أن نتخلص من عقدة التعلم بدون عمل، وأن نطبق ما تعلمناه، في واقعنا لنستشعر لذته مخلصين لله الدين حنفاء، فما تتعلمينه

من فقه من حديث من هدي آية، سارعي لمعايشته في واقعك، والعمل به، وسترين عظمة تأثيره في نفسك ومن حولك. فالعلم للعمل وبركته ممتدة تُذهلك!

العبادات لا تنحصر في الصلاة والصيام والحجاب، بل حتى المعاملات من العبادات، فاتقي الله في نفسك وأسرتك وعلاقاتك، في خُلقك في تعاملاتك، كوني منارة للهدى والتقى ومدرسة لحسن الخلق والحياء من الله ﷻ.

وكلما صانت المرأة نفسها من خلطة الرجال الأجانب، وحفظت قلبها من فتن العلاقات غير الشرعية، وسدت الذرائع، وتركت كل شيء لا يقربها من الله تعالى في سبيل مرضاة ربها، عوضها الله بخير منه، وأشرقت أنوثتها واستقوت بصيرتها وازدهرت همتها!

احرصي أخية، على تزكية القلب بالمحاسبة الدائمة: "ماذا قدّمت لله اليوم؟"ـ فإن رأيت بذلا، أكثري الحمد والشكر، وإن رأيت تقصيرا وتخلفا، أكثري الاستغفار والحوقلة، وبادري للعمل الصالح، للتعويض، واحرصي بالموازاة على دوام ذكر الله تعالى. والإكثار من الدعاء بالثبات فقه لا يغيب عن المؤمنة التواقة.

وأضيف عليه واجب البحث عن موطئ قدم لك، لخدمة دينك وإعلاء كلمة الله جل جلاله، باستقامة وما يوجب المحبة والرضوان من الله عز وجل. ودليلك إلى ذلك قول

الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فرابطي على ثغور العبادة والعمل بخشوع وأدب وإتقان، ولو كنت في الساقة، ولو كانت أصغر الأعمال في نظرك، حتى يأذن الله تعالى بالاستعمال والفتح والقبول، وتذكري واحفريها في قلبك: زكاء القلب أهم من ذكاء العقل! ورضا الله أولى من رضا الناس!

كلما كانت مرجعياتك راسخة، بالقرآن والسنة، بالسيرة والسير، قدوتك أمهات المؤمنين والصحابيات ﷺ، أمنت نفسك من المفاهيم المشوهة والمحاربة لهدي الإسلام العظيم، فابتعدي عن مرجعيات النسويات المسترجلات، وإياك والاستجابة لدعوات المساواة مع الرجل الخبيثة الظالمة، وأعدي نفسك لتكوني سندا للرجل، مكملة لرجولته تصون الحق في نفسه وفي أهدافه، لا عقبة تحول حياته لهزيمة وتهدمه!

فأمنا خديجة ﷺ وقفت وفية تسند زوجها النبي ﷺ في أحلك الظروف وأشد المحن، لم يسمع منها كلمة انهزام أو ارتياب! فخلد التاريخ ذكرها بأطيب ما يكون ذكر لسيرة امرأة مسلمة!

والصديق أبي بكر ﷺ أوفت له زوجاته وبناته خير الوفاء وأحسنه، فأمن خليفة المسلمين على بيته، وانشغل برعيته، ليسطر في عامين ما لا يقدر عليه أكثر القادة حنكة وعبقرية!

وما من سيرة علم من أعلام المسلمين إلا وكان في حياته أما أو زوجة تفدي الحق الذي يحمله، فكانت نعم المعينة والتقية والسند والسكن!

فليكن دورك واضحا كما نصه القرآن والسنة، يكتمل بك الرجل لا يُمتحن بك!

قال الله عز وجل ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]

وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

وفي الحديث (وجُعل الذُّل والصَّغار على من خالف أمري).

يقول ابن القيِّم –رحمه الله–: "والمقصود أن بحسب متابعة الرَّسول تكون العِزَّة والكِفَاية والنُّصْرَة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنَّجاة، فالله – سبحانه – علَّق سعادة الدَّارين بمتابعته،

وجعل شقاوة الدَّارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعِزَّة والكِفَاية والنُّصْرَة والولاية والتَّأييد وطيب العيش في الدُّنْيا والآخرة، ولمخالفيه الذِّلَّة والصَّغار والخوف والضَّلال والخذلان والشَّقاء في الدُّنْيا والآخرة." زاد المعاد.

فإن ابتليتي في هذه الطريق، بابتلاء الفقد في حياتك، والوحشة والغربة، استحضري قول الله عز وجل، واسأليه تعالى من فضله العظيم، قدوتك آسيا امرأة فرعون، قال الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]

وحتى في قلب الخطوب والحروب والمحن! يأبى الله إلا أن يتم نوره وينصر عباده وإماءه، قل جل في علاه ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]

فأي شرف يناجز هذا الشرف وأي فضل يباري هذا الفضل، وأي مكانة تسابقين عليها يا أمة الله!! أيدك الله بنصره وبالمؤمنين ومتعك الله بفضائل الإيمان والثبات والمحبة والمعية!

هذا اليقين وحسن الظن بالله تعالى وما ذكرناه إلى الآن، يعد خط دفاع أول وحصانة لك من الفتن، فالتزود بذخائر الإيمان والعمل، والمسابقة بالخيرات، وبناء جدار الحياء وحسن الخلق، وغلق أبواب الشر قبل أن تُفتح والترفع عن سفاسف الأمور، وهجر الصحبة المفسدة، يضمن لك الثبات والسير باتزان، يحدو المسلمة الأبية، هيبة الهوية الإسلامية ووقارها في النفس والبيت والمجتمع.

وكما يقول أهل العلم، إذا لم يشغل القلب الحق، شغله الباطل، والباطل يتسلل لقلبك ويتمكن منه بقدر غفلتك وتفريطك في أسباب صيانة القلب وشغله بالحق، فاشغلي وقتك بكل ما فيه من الطاعات والأعمال والمطالعات النافعة، حتى استراحتك انوي بها مرضاة الله والتزود للمسابقة في سبيله تعالى، وربي نفسك على التعامل مع كل ما حولك من مهمات وأدوار وأهداف، مهما صغرت أو كبرت، بعين تبتغي مرضاة الله تعالى وترجو رحمته، فيتبدل العسر ليسر والثقل لخفة، والطول لقصر ويسعدك الرضا!

وبمثل هذا الفقه، لن يكون هناك وقت لديك لما يضيع فرصك في الارتقاء وما يهدم نفسك ويفتح عليك ثغرات الفتن وبواباتها.

أنت يا أخية، تسمعين كل يوم من المواعظ والنصائح الكثير، فمنابر المسلمين لاينقصها الوعاظ ولا الناصحين، لكن ينقصنا حقيقة الجدية! الفعالية! وقوة الأثر، ودوام هذا الأثر. ينقصنا الاستمرارية بابتغاء رحمة الله ورضوانه لا ابتغاء إعجاب الناس ورضاهم، والفرق بين المقامين عظيم!

إن موجبات الثبات والبصيرة والسعادة، لها أسرارها ومفاتيحها، ولا تصل لها المسلمة لمجرد الانتفاض والمسابقة بالأعمال الصالحة، بل يجب أن يحدوها ويحصنها بكل دقائقها وذراتها إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، والانكسار لله تعالى والاستعانة به وتحقيق مقامات العبودية لله الواحد الأحد، والاستقامة كما أمر ﷻ، على منهج نبيه صلى الله عليه وسلم، ودوام الدعاء والأخذ بأسباب الثبات. بنبذ التعصب لغير الله ورسوله ﷺ وبغير الالتفاف لما يفسد ويحرف المسيرة أو يضر!

مرجعيتك راسخة لا تقبل الارتياب أو التبديل، ووجهتك واضحة لا تسمح بأي تشويش أو انحراف! كسهم شامخ انطلق، وجهته الجنة..!

ضعي نفسك أخية في وسط تشرقين فيه، ترتاح فيه نفسك بذلا وعطاء واستجابة، واستعيني بالله ولا تعجزي واتقي الله ما استطعتي، وسددي وقاربي، ولا تبتئسي، لا تسمحي للحزن أن يسكن قلبك ويغير ملامح وجهك مهما كان الابتلاء موجعا! بل

الابتسامة في قلب الخطب باحتساب ويقين، عبادة ومرتبة ارتقاء هي الأرجى! ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]

لا تسمحي للضعف أن يتمكن من جوارحك ويكبّل همتك، فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، لا تنهزمي، فانهزامك سقوط قلاع وحصون، وتراجعك، خذلان أمة تُنحر في كل يوم، ليس بيدك القعود ولا باختيارك التخلف عن ميادين البذل والجهاد التي خُصصت لك، إنما هو دور يفرض نفسه فرضا، حتى يأذن الله تعالى برفع الكرب عن أمة الإسلام، ثم الاصطفاء لمراتب الفضل الأرجى.

أيتها العزيزة المسلمة، حين تشتعل همتك فهذا لأن أهدافك سماوية، لذلك مهما أظلمت حولك المشاهد فلن تزيدك إلا نورا وإشعاعا، لن تخمد نار اشتعلت في سبيل ربها، ليكن هذا واضحا، نحن نثبت ونستقيم ونجتهد ليس لنرى نتائج هذا البذل بالضرورة الآن وحالا وفورا، أو سنعجز وننكسر! بل لأن أهدافنا سماوية هناك، بعد الأفق، حيث خط الموت، منازل سبق تُفدى، فكيف تنطفئ همتك يا أخية! والنبي ﷺ يوصيك بزرع الفسيلة وإن قامت الساعة! فهل هناك أهوال أشد من أهوال الساعة، لذلك لا مبرر البتة لأي تراخٍ أو تراجعٍ، بل يجب أن ندفع الهمة بأحلامنا التي لن تنكسر، وحسن ظننا بربنا الذي لا ينهزم! ولن نسمح لها أن تتحطم، على خطى السابقين الأولين، لدينا اجتماع مهيب يستحق كل الصبر والثبات والبذل بأوفى ما يكون، بلا كلل ولا وهن، ولو خرجنا من الدنيا بلا صيت ولا ذكر ولا مال ولا متعة

يُبجّلها الناس وبها يفتخرون! قال الله عز وجل ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

المسلمة اليوم ليست مجرد فرد يعيش في زمان صعب، بل هي لبنة في بناء الأمة وحاملة لراية الدين وعامل انبعاث وقوة قوي ومصيري. ومهما عظمت التحديات، فإن بين يديها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والقدوة الأسبق في الجيل المتفرد، لديها زاد اليقين والرضا والطمأنينة، لا يوازيه زاد. فمن استعانت بالله تعالى، واستوعبت نفسها واحتياجاتاها ومتطلبات المرحلة، وصبرت وثبتت، كانت من المؤمنات اللواتي وصفهن النبي ﷺ بقوله: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده» متفق عليه.

وإن شعرت يا أمة الله يوما بالتراجع، ألقي نظرة على نساء الكافرين، انظري لأعداء الدين كيف يبذلون بلا كلل ولا ملل، في أعينهم حقد أعمى يستهدف همتك لتخور، فهل تقبلين بذلك! كيف وإغاظة العدى بإسلامك وثباتك، شرف وسبق مراغمة يرفعك! فلا تُشمتي بنا عدوا ولا أعداء!

أخية، إن صلحت علاقتك بربك، وسكنت السكينة والطمأنينة قلبك، ومتعك الله بفضائل الإيمان والمسابقة في سبيل الله، فما يضرك أن لا يعرفك الناس؟ وهل تعتقدين أن السعادة في أن يشار لك بالبنان؟ أم السعادة في أن تذكرك الملائكة!

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى–: "فمن طلب الله بصدقٍ وجده ومن وجده أغناه وجودُه عن كلِّ شيء". [طريق الهجرتين ٩٥]

إياك أن تعتقدي أن النجاح هو في الشهرة ومعرفة الناس لك، بل النجاح حقا هو أن يرضى عنك ربك ويتقبل أعمالك ومسابقتك ويكتبك في سجل الخالدات بجوار أمهات المؤمنين والصحابيات ﷺ، وإن لم يعرفك أحد! هذا هو ميدان السبق الذي يُفدى ودونه مجرد ثرثرة لا تؤثر في سجل أعمالك الذي يفتح يوم القيامة! هذا هو السجل الذي يجب أن يشغل بالك، لا غيره. فاجعليه بين عينيك وتقدمي متأدبة بكل خطأ متحصنة بكل توبة، وبحسن الظن بربك الكريم!

ولا تكلفي نفسك ما لا تقدرين عليه، ولكن قليل دائم خير من كثير منقطع، ومداومة وإن صغرت بصدق وإخلاص، خير من كثرة بلا أثر أو بجشع نفس وظلم وغش!

إياك والركون لنفسك، باعتقاد أنك عصية على أمراض القلوب، وعواصف الفتن، فتتقحمين مستنقعات تغرقك وتمنعك الارتقاء، بل تزودي بانكسار، واستعيني بالله تعالى في أصغر المهام وأصعبها، اجعلي ارتباطك بالسماء مصيريا، كالنَفَس لنفسك!

ولا تسمحي لسوء طبع أو بذور انحراف أن تتمادى وتطغى، فأنت الأعرف بنقاط ضعفك، احزمي أمرك، وأحسني قيادة هذه النفس، وحصنيها وابعديها عن مواطن السوء والظلم والبدع، وعما يصنع فيها الكبر والحسد، فتسعدين في الدنيا والآخرة. ويسعد بك من حولك!

فإن كنت زوجة أو أما، طالبة أو مجاهدة، ظهر أثر الإيمان والعلم عليك، في سمتك ومظهرك، في بيتك ومجلسك، في تعاملاتك وعلاقاتك، في رصيد أعمالك وآثارك، وما قيمة طالبة تحفظ كتب العلم ولا تحسن الحديث ولا التعامل ولا تقدر على إعداد مملكتها بما يبهج النفس أو يسكن له الزوج! فأولوياتك أخية، بما يرضي ربك، لا بما يجلب سخطه والعياذ بالله!

وفي الختام، إن كان هناك من وصية ونصيحة أضعها هنا بين يديك بقلب يحب الخير لك، ويرجو لك التوفيق في الدنيا والآخرة، ويحب لك ما يحبه لنفسه، فيا فتاة الإسلام ويا درة مصانة، الله الله في أنوثتك فهي مفتاح سعادة وتفوق في حياتك!

إن كل ما تسعين له يجب أن يراعي فطرة الأنثى فيك، فلا يتعدى الحدود ويذهب لحد الاسترجال والقبح! بل يصون مروءتك أمة لله حييّة عفيفة!

قد تستغربين لم الأنوثة! وما دخل الحفاظ على أنوثتي وجمالي وحسن مظهري وتصرفاتي وسلوك الأنثى الرقيق في؟! فلأن نفسك لا تقدم أفضل ما تقدمه حتى تصوني الأنثى التي بداخلك، وتصوني صفاتك الأنثوية، هنا يبلغ العطاء مبلغه من الجمال والانسجام والراحة في نفسك ومع من حولك، فأنت قبل كل شيء أنثى، إن أحسنت استيعاب هذه الحقيقة في نفسك، أحسنت العطاء بأبهى أثر وعمل!

لذلك اهتمي بأنوثتك جدا وأبدا، مهما كان سنك ومهما كانت ظروفك، ولك في أمهات المؤمنين القدوة، لقد وثّقت لنا حادثة الإفك حرص أمنا عائشة ﵂ على عقدها! قامت تبحث عنه في مقام سفر وتعب، حرصا ذكيا منها على تفاصيل زينتها، ووفاء جميلا منها لحليّها، وهذه صفة أنوثة آسرة، ولها أسرارها وموجباتها، فلا عجب أن كانت عائشة العالمة الفقيهة سبق زمانها بين النساء! وحبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعرف كيف تحفظ أنوثتها وتهتم بها..! تعرف كيف تكسب قلب زوجها النبي، وتفي له، ﷺ.

نعم هو تفصيل صغير، يخفى بين أحداث الحادثة الكبرى الأليمة، لكنه معلم واضح.

إن المؤمنة تعتني بطبيعتها الخُلقية والخَلقية مما يحدث انسجاما بديعا ويوجب فضائل ومسرات، لا تبلغها إلا التي عرفت حقا كيف تعيش أنثى على فطرتها. لم تعاند هذه الفطرة واحتياجاتها!

وهنا سر عظيم من أسرار السعادة يا أمة الله، فإن عنايتك بتفاصيل الأنثى فيك، في أصغر التفاصيل وأبرزها، يحيطك بالتوازن والاستقرار النفسي ويسمح لنفسك بتقديم الأفضل، بحسن استجابة لخصائصك كأنثى!

كل امرأة أهملت جانب الأنثى فيها، عاشت فاقدة لشيء مهم في حياتها، وهي لا تدرك سبب هذه التعاسة حتى وإن حازت شهادات الدنيا وسجل الألقاب الفاخرة!

لقد كرمك الله بالأنوثة فصونيها..! وانعمي بها. نعمة من ربك الكريم.

وحين أتحدث عن الأنوثة فهي منظومة كاملة متكاملة، تبدأ من أصغر تفاصيل الجمال والزينة والحليّ والعناية بالنفس والشكل، إلى تاج الوقار والحياء وأدب المرأة المسلمة، إلى طموحاتها كأنثى إلى غاياتها السماوية كأمة لله تعالى.

الأنوثة منظومة مبهجة، تزدهر وتشرق بأروع مع يكون في حضرة رجل حقيقي، يصون مروءته ويفي لمعاني الرجولة في نفسه وفي أسرته ومحيطه، وبقدر ما يفقد الرجل من

رجولته، تتأذى المرأة! لذلك يا درة مصانة، صوني قلبك وأنوثتك بالإسلام العظيم، وانعمي بفضائل هذه الصيانة. في حضرة الرجل النبيل أو في غيابه!

دللي نفسك بما يدلل الأنثى بما أحل الله تعالى، استمتعي بهذه النعمة وعيشي حامدة شاكرة ساعية لمرضاة ربك، والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وأمته!

كوني أنثى مؤمنة، إذا طلّت على أسرتها، أسرّت! وإذا حضرت بين النساء أبهجت، وإذا تحدثت في مجلسها، سكنت لها المسامع والقيم! لا تفجعينا بطبع استرجال أو سلاطة لسان وفظاظة طبع وقبح كلام! قال الله عز وجل ﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]

ولله در الصحابيات ﷺ! في وقت كانت الحياة قاسية، ومتطلبات الرفاهية مفقودة، وأدوات الزينة زاهدة، لم يثنهن ذلك عن المسك والتطيب ولا عن التأنق والتحلي، ولا عن الحفاظ على أنوثتهن وعلاقتهن بأزواجهن بأبهى ما يكون ويُعِفّ الزوج والزوجة، وبهذا تحمى الأسر وتسعد وتزدهر!

هكذا تُبنى البيوت المسلمة على إلف العطاء الجميل وحسن العشرة وعلو الهدف ودوام البركات.

أشكركن على الحضور والاهتمام، وأعتذر لكن، أن يكون تواجدي اليوم معكن بكلماتي بدون شخصي، ويكفيني من ذلك أني أرسل لكن المعاني العزيزة على قلبي، والتي أخطها بروحي، وصدق نصحي ومودتي، كما أرجو وآمل، تبثها لكن أخت حبيبة في الله، صديقة في درب الدعوة وثغور العمل في سبيل الله تعالى، جزاها الله عني خير الجزاء، وأقر عينها وأعينكن بالمحبة والقبول والرضوان.

لعل الله يكتب لنا لقاء في مقامات العز والظفر، ومنابر النور، في مقام يغبطنا عليه الأولون والآخرون، فرددن في كل مقام للدعاء، اللهم ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

اللهم لا تفجعنا في مؤمنة! وأقر أعيننا بثبات وخاتمة السعداء كل من تسمع هذه الكلمات أو تقرأها.

ولنصبر على واقعنا المعاند وطغيان أعدائنا، ولنحسن قيادة أنفسنا وإعدادها كي لا تخذلنا في ملاحم الارتقاء وتفي لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى كما يجب، ولنبذل الجهد والمسابقة، في سبيل ربنا، بصبر وتوكل، نرجو قبوله ومرضاته، بلا كلل ولا ملل، أعيننا على منازل الخالدين، ولنتعاون على تحقيق أهدافنا وأحلامنا، بيقين لا ينهزم، إلى آخر رمق! فإن لم نشهدها هنا، شهدناها هناك في مقعد صدق ينتظر!

كان هذا ما تيسر اليوم ذكره في هذا اللقاء المبارك، وأحمد الله تعالى لقاءات يذكر الله فيها ويصلى على نبيه الأمين، عليه أفضل الصلاة والسلام، فما كان من إصابة وتوفيق فمن الله وحده لا شريك له، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، استغفر ربي وأتوب إليه.

اللهم ثبتنا على الاستقامة ومنهج نبيك ﷺ كما تحب وترضى.

اللهم أيدنا بنصرك وبالمؤمنين، واستعملنا في إعلاء كلمتك ونصرة دينك.

اللهم ارفع الكرب عن المسلمين المستضعفين في كل مكان،

اللهم استودعناك أهلنا في غزة وفي تركستان الشرقية والمشردين الروهينجا وفي كل أرض تئن!

اللهم استودعناك أهل الثغور والعاملين في سبيلك، وكل أسير ويتيم وأرملة.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، واكفنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اجعل تجمعنا هذا تجمعاً مرحوما..

وتفرقنا من بعده تفرقاً معصوما..

ولا تجعل فينا شقياً ولا محروما..

وآت كل نفس سؤلها من الخير..

وسدد خطاها ووفق مسعاها..

ونور دربها وألهمها رشدها..

ووفقها لخير دينها ودنياها..

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

اللهم آمين..

ليلى حمدان